

الغائصون


الهيئة العامة
السورية للكتاب

شخصيات المسرحية

المرأة

الرجل

عامل التنظيفات

الناشط الحقوقي

الزوج

الزوجة

الكهل بائع الحلوى

الفتاة

طفل

رجال ونساء وأطفال


الهيئة العامة
السورية للكتاب

(في الظلام أصــوات عاصــفة رعديــة مــع التماعات البرق، ترتفع أنوار المسرح قلــيلاً على رجل وامرأة غائصين في الأرض حتــى وسطيهما والأمطار تتساقط بكثافة عليهما.

يدخل مجموعة من الرجــال يــشكلون حلقــة حولهمــا ويقومــون برجمهمــا بالحجــارة وقــصاصات جرائــد وأوراق مكرمــشة، ثــم يخرجون.

ينقطع تساقط الأمطار ويدخل طفــلان، صــبي وفتاة، يرمياهما بوردتين ثم يخرجان).

* * *

(ترتفع أنوار المسرح)

المرأة : **(وهي ترفــو جــوارب لولــدها)** أبــو يزيــد البسطامي رمى الحلاج بوردة.

الرجل : **(يلعب بالشطرنج وحده)** ولكنني لست الحــلاج **(يتناول الوردة)** صباح الخير.

المرأة : **(تتناول الوردة)** صباح الخير.

الرجل : ماذا تفعلين؟

المرأة : أرفو جوارب لولدي. وأنت ماذا تفعل؟

الرجل : ألعب بالشطرنج.

المرأة : وحدك! الشطرنج يحتاج إلى لاعبيْن.

الرجل : وما الغرابة في الأمر، العالم كله يقوده لاعب واحد.

المرأة : هل طلع الصباح؟

الرجل : انقضى ليل وانقضى نهار، والشمس لا تطلع، ونحن مازلنا ننتظر.

المرأة : يقولون إنها ستطلع من الغرب وعلينا أن ننتظر. هل كان حلماً؟

الرجل : أي حلم؟

المرأة : رعد وبرق وأمطار حمضية حارقة ورجال.

الرجل : آه.. عجيب وأنا حلمت بذلك أيضاً.

المرأة : كان حلماً مشتركاً.

الرجل : عجيب.. قلما يشترك اثنان في حلم واحد.. لعله كان حقيقة وليس بحلم.

المرأة : ربما.

الرجل : **(ينظر إليها بإمعان)** وجهك ليس بغريب عني.. أين رأينا بعضنا؟

المرأة : لا أعتقد أننا التقينا.

الرجل : تذكري.. أين تسكنين؟

المرأة : كنت أسكن في خرابـــة ترعـــى فيهـــا الجـــن والجرذان والقطط المتوحشة.

الرجل : وأنا أيضاً أسكن في خرابة ترعى فيها الجـــن والجرذان والقطط المتوحشة.

المرأة : عندي ولد متزوج سميته آدم، زوجتـــه بثلاثـــة أنوف وعين واحدة، أعتقد أنها شيطانة، اسمها ليليث، ليست من ضلعه وإنما خلقهـــا الله مـــن قاذورات العالم.

الرجل : أوه مصادفة غيبة.. وأنا أيـــضاً عنـــدي ولـــد متزوج سميته آدم، زوجته بثلاثة أنوف وعـــين واحدة، أعتقد أنها شيطانة واسمها ليليث، ليست من ضلعه وإنما خلقها الله من قاذورات العالم.

المرأة : ليلة عرسهما حضر أناس مفلطحـــو الأرجـــل بعين واحدة وأنوف متعددة.

الرجل : أوه.. عجيب.. وأنا أيضاً، ليلة عرسهما حضر أناس مفلطحو الأرجل بعين واحـــدة وأنـــوف متعددة.

المرأة : فرضـــت علـــيّ زوجتـــه أن أطعـــم قططهـــا المتوحشة التي تربيها.

الرجل : وأنا أيضاً فرضت عليَّ زوجته أن أطعم جرذانها التي تربيها.

المرأة : ونسيت يوماً أن أطعمها.

الرجل : وأنا أيضاً نسيت يوماً أن أطعمها.

المرأة : حملَت المكنسة وهجمت على ابنـــي وقالـــت: احمل أمك وضعها في حاوية القمامة.

الرجل : أوه.. لا أكاد أصدق، وأنا أيضاً، لأني نـــسيت أن أطعم جرذانها هجمت على ابنـــي وقالـــت: احمل أباك وضعه في حاوية القمامة.

المرأة : ولأن ولدي يحبني فإنه لم يضعني في حاويـــة القمامة، لقد حملني وغرسني هنا.

الرجل : وأنا أيضاً لأن ولدي يحبني فإنه لم يضعني في حاوية القمامة، لقد حملني وغرسني هنا.

المرأة : سلسلة من المصادفات الغريبة.

الرجل : فعلاً إنها مصادفات غريبة، لا بد أننا التقينا من قبل، حولي أن تتذكري.

المرأة : **(ببرود)** أوه .. تذكرت.. أنت صابر .. أنـــت زوجي إذن.

الرجل : **(ببرود)** أوه.. سعاد.. أنت زوجتي إذن.

(صمت)

المرأة : **(بحزن)** أنا لست زوجتك، أنا شجرة يابسة مغروسة هنا في العراء.. لا أورق ولا أزهر.

الرجل : **(بحزن)** وأنا لست زوجك، أنا أيضاً شجرة مغروسة هنا في العراء.. لا أورق ولا أزهر.

(صمت)

المرأة : الأرض هنا لينة.. نحن نغوص في التراب.

الرجل : نعم.. الأرض هنا لينة.. نحن نغوص في التراب.

(إظلام)

* * *

المرأة : ماذا نفعل؟

الرجل : أنا ألعب الشطرنج وأنت ترفين الجوارب.

المرأة : أوه.. نسيت أنني أفعل ذلك، تحولنا إلى آلة لا تعي ما تفعل.

الرجل : فعلاً.. نحن آلة تدور ولا تعي.

المرأة : دع الشطرنج ولنقرأ صحف اليوم.

الرجل : فعلاً نحن نحتاج إلى شيء من التمرد على آليتنا **(يتناول من أمامه ورقة مدعوكة مما رجم به، يفتحها ويقرأ)**

قبّل طارق زوجته في جبهتها وقال لها: وداعــاً، سأذهب لفتح الأندلس. تبسمت وقالت وداعــاً، رافقتك السلامة. لوح لها بيده وانتحى ركناً مــن أركان البرّاكة وجلس، رتب جنوده المصنوعين من نوى التمر وأعقاب السجائر على ترابها، حفر أمامهم خندقاً ملأه بالماء وقال لهم: أيها الجنود ... إلى الفتح والجهاد في سبيل الله.. الله أكبر(*)..

المرأة : **(تتناول ورقة تفتحها وتقرأ)** حضرت النملــة الوفاة، فاجتمع حواليها النمل فقالت لهــن : لا تجزعن، فقد دَخرت عند الله دَخيرة من دَخــر مثلها جدير بالرحمة، وذلك أني لم أسفك دمــا قط(**).

الرجل : اليوم يسفكون الدم في الطرقات مــن غيــر أن يجزعوا.

المرأة : يدخرونها عند الشيطان.

(*) من قصة قصيرة «طارق الذي لم يفتح الأندلس» لمصطفى المــسناوي بتصرف.

(**) من كتاب القائف للمعري ولم تصل منه إلا حكايــات قليلــة نقلهــا الكلاعي في «أحكام صنعة الكلام».

الرجل : **(يتناول ورقة ويقرأ)** الحرب.. تبدو لي الأكثر دناءة والأكثر جبناً وإجراماً للصعود أو لتسوية الأمور الفاسدة أو المعقدة.

المرأة : **(تتناول ورقة وتقرأ)** الحرب ليست بـالتطهر ولا بالتكفير بالنسبة للضعيف المنهزم، وليست بالمكافأة بالنسبة للبطـل المنتـصر؛ فكلاهمـا يغوصان في الأرض، يغوصان في عدم واحد.

الرجل : **(يتناول ورقة ويقـرأ)** خطاب إلى الأموات من الضابط الذي ألقى القنبلة على هيروشيما: أنتم يا من لا تسمعوننا أو تشاهدوننا، لقد انتـصرنا عليكم ولكننا لم ننتصر علـى أنفـسنا، كلانـا مهزوم، ولكن أنتم في سكينتكم أفضل حالاً منا.

المرأة : **(تتابع القراءة)** من يغترُّ بنصره علـى أخيـه الإنسان كمن يغتر بجسده الذي يمـوت بفعـل الزمن في كل ثانية ويتلاشى **(تتنـاول ورقـة أخرى وتقرأ)** الزمن يمـارس إتلافـه علـى أجسادنا، الباليرنا تتحول بفعل الزمن إلى سيدة جسيمة مهترئـة، شـعرها أشـيب، ومـشيتها مختلجة. **(تتناول ورقة أخرى)** تفكُّك الأنا موتٌ مطَّرد.

الرجل : **(يتناول ورقة أخرى ويقرأ)** توظف رجل في سلك الشرطة فتحسنت أحواله واغتنى. دعاه المحاسب وقال: أنت منذ توظفت لم تقبض رواتبك! قال الشرطي: وهل للشرطة رواتب؟

المرأة : هذا الفساد جرَّ علينا تلك العواصف والأمطار الحمضية **(تأخذ ورقة)** دخل ذئب الجنة لأنه أكل ابن شرطي **(تضحك)** قصة من التراث السوري قبل الميلاد.

الرجل : **(يأخذ ورقة أخرى)** كَشَفَت مصادر إعلامية فرنسية عن أن أحد الأمراء السعوديين قام بإنفاق أكثر من ١٥ مليون يورو خلال ثلاثة أيام بديزنى لاند باريس "يورو ديزنى" الترفيهية. وذلك على تنظيم عروض خاص لخدمات "يوروديزنى" له ولستين شخصا من ضيوفه وذلك بمناسبة الاحتفال بتخرجه.

المرأة : **(تقرأ)** ما هكذا نقضي على الفقر! بقلم د. تركي فيصل الرشيد: يظل الفقر لدينا في المملكة واقعاً اجتماعياً يتطلب تفسيراً ويحتاج إلى الاعتراف به وجدية التعامل معه، وليس حالة تصورية كما يتمنى البعض.

الرجل : (يأخذ ورقة أخرى) أوضح مؤشر سنوي مختص بمعرفة أفضل الدول معيشة في العالم أن المملكة العربية السعودية صُنِّفت في مرتبة معيشية سيئة على الرغم من امتلاكها أكبر مخزون نفطـي على مستوى العالم . حيث احتلت المركز ١٦٩ من بين ١٩٠ دولة تضمنها المؤشر، والمثيـر للدهشة في الإحصائية التـي أعـدها موقـع internationalliving.com أن السعودية تقدمت على العراق المحتل بفارق درجة واحدة فقـط حيث جاء العراق في المركز رقم ١٧٠بينمـا احتلت الصومال واليمن والـسودان المراتـب الأخيرة. ويتساءل البعض عن سـبب ارتفـاع معدلات الفقر والبطالة في المملكة في الوقـت الذي تُحقق فيه عائدات مالية هائلة كونها مـن أكبر الدول المصدرة للنفط في العالم.

المرأة : الاحتلال الأخطر هو الاحتلال الداخلي. احتلال أبناء جلدتك لك وللوطن.

الرجل : عندما كنت أعيش في بيـت ابنـي لـم تكـن الجرذان تترك لي شيئاً آكله.

المرأة : وأنا أيضاً عندما كنت أعيش في بيت ابني لـم تكن القطط تترك لي شيئاً آكله.

الرجل : هل كان علينا ألاّ ننسى إطعامها؟

المرأة : سأقول لكَ سراً : أنا لم أطعمها عن قصد.

الرجل : سأقول لكَ سراً : أنا لم أطعمها عن قصد.

المرأة : **(تقرأ ورقة جديدة)** ها.. اســمع.. وسينتــصر الحب.. الحب أقوى من الليل والجرذان.

الرجل : **(يقرأ ورقة جديدة)** ها.. اسمعي:

بالرغم ممن حاصروا عينيكِ ..
وأحرقوا الخضرة والأشجار
أقول :لا غالب إلا الوردُ
يا حبيبتي
والماءُ، والأزهار .
برغم كل الجدب في أرواحنا
وندرة الغيوم والأمطار
ورغم كل الليل في أحداقنا
لا بد أن ينتصر النهار[*].

(إظلام قصير)

* * *

(*) نزار قباني.

(إنارة، يدخل عامل يحمل سلة في يده، يلتقط الحجارة والأوراق بملقط طويل بهدوء ويضعها في السلة ويترك لهما الوردتين، والرجل والمرأة يتابعانه بنظريهما)

العامل : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

المرأة : أنا لست عاهرة، لأنني فحسب لم أطعم القطط المتوحشة..

العامل : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.. المجدلية لا تطعم القطط المتوحشة.

الرجل : وأنا أيضاً لست زانياً، لأنني فحسب لم أطعم الجرذان..

العامل : القوارض تقرض البشرية حتى تصل إلى العماء. أما الأخطاء الصغيرة فهي ملح الحياة. من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

(يخرج العامل وإظلام خاطف)

(إنارة ويدخل شاب ناشط حقوقي يحمل محفظة)

الناشط : أنا ناشط حقوقي من لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة. علمنا بقضيتكما وسنعمل على إجراء تحقيق دولي وإنصافكما.

الرجل : لقد وصلت قضيتنا إلى الأمم المتحدة يا سعاد.

المرأة : هل نحن مهمان يا صابر؟

الرجل : يبدو لي أننا مهمان.

(الناشط يفتح محفظته ويخرج منها مسدساً وسكيناً وقنبلة يدوية ويضعها جانباً، ثم يخرج لفافة خبز)

الناشط : لا شك أنكما جائعان، هل تأكلان؟

الرجل : نحن هنا شجرتان يابستان مغروستان في الأرض، نحن لا نأكل.

المرأة : نعم، نحن هنا شجرتان يابستان مغروستان في طين الأرض، نحن لا نأكل.

(يعيد اللفافة إلى المحفظة ويتناول معلَّبتين)

الرجل : ما هذا؟

الناشط : في هذه العلبة طعام مغذٍّ للجرذان، وفي هذه العلبة طعام مغذٍّ للقطط.

الرجل : وهل أنتم في الأمم المتحدة تطعمون القطط والجرذان أيضاً؟

الناشط : بالتأكيد، لدينا ناشطون في مجال الرفق بالحيوان، ومن أعضائها المشهورين الناشطين جداً ب.. ب.

الرجل : ومن ب.. ب؟

المرأة : نعم، ومن ب.. ب؟

الناشط : بريجيت باردو ألم تسمعا بها؟

الرجل : الله خلق المرأة، حضرت لها هذا الفيلم في شبابي؟

المرأة : أكنت تخونني يا صابر؟

الرجل : أنا..لا.. كان هذا قبل أن نتزوج، ثم إن التمتع بالجمال ليس بخيانة، الله جميل يحب الجمال.

المرأة : ولماذا ليس على المرأة أن تتمتع وتحضر مثل هذه الأفلام.

الرجل : ربما لأنني رأيت في الصالة شباباً وشيوخاً يستمنون. هل أنتن على استعداد لفعل مثل ذلك؟

المرأة : تفوه..

الناشط : **(يتناول من المحفظة دفتراً وقلماً)** سأطرح عليكما بعض الأسئلة، يجب أن تقسما أولا بأن تقولا الحق. رددا معي: أقسم بالله العظيم.

الاثنان : أقسم بالله العظيم.

الناشط : أن أقول الحق وليس غير الحق.

الاثنان : أن أقول الحق وليس غير الحق.

الناشط : **(يكتب باهتمام)** كم زوجاً من الأحذية لديكما؟

الرجل : نحن شجرتان مغروستان في التــراب، الأرض كلها حذاء لنا.

المرأة : نعم، نحن شجرتان مغروستان فــي التــراب، الأرض كلها حذاء لنا.

الناشط : هل تفضلان الشاي أم القهوة؟

الرجل : الشاي.

المرأة : القهوة.

الناشط : هل تفضلان في العلاقة بين الرجل والمــرأة، وبين الرجل والرجل، وبين المــرأة والمــرأة، العقل أم العاطفة؟

الرجل : العقل.

المرأة : العاطفة.

الناشط : هل أنتما مواليان أم معارضان؟

المرأة : أنا موالية. رئيسنا جميل، والقلب يعــشق كــل جميل.

الرجل : أنا معارض، لأن زوجتي مشغولة عني بحــب غيري.

الناشط : أنتما لا تتفقان على أمــر. قــضيتكما معقــدة. **(يتناول من المحفظة جريدة)** ما هو برجاكما؟

الرجل : السرطان.

الناشط : **(يقرأ)** السرطان: غيوم وأمطار حامضية، وجزر تغيب في البحر. تسونامي يكتسح القارات، وأنتَ على الشاطئ وحيد بليد تنتظر المعجزة، ورجلاك تغوصان في الرمال.

المرأة : برجي الحمل.

الناشط : الحمل: الليل يمتد ، والشمس تتحول إلى ثقب أسود يبتلع النجوم، الكواكب تنتثر، والأرض تزلزل، والجبال تسيّر، والبحار تتفجر، وشواظ من نار يشق عنان السماء، وأنت تغوصين في حمأ مسنون.

المرأة : وَيْ.. إنها القيامة.

الرجل : أجل.. إنها القيامة.

الناشط : **(يجمع أشياءه ويضعها في المحفظة)** يكفي هذا اليوم، سأعود مرة أخرى لاستكمال ملف القضية **(يخرج)**

(إظلام)

* * *

(إنارة، الرجل والمرأة وقد غاصا في الأرض أكثر. تدخل الزوجة ذات الأنوف الثلاثة والعين

الواحدة يتبعها زوجهـا – الابـن– ووجهـه يغطيه شعر نـاعم خفيـف رمـادي، أذنـاه طويلتان، فهو قريب الـشبه بـرأس حمـار، يسوق أمامه عربة أطفال فيها جرذان وقطـط شرسة تخص الزوجة وهي تتماوأ وتـصأصئ بشراسة)

الزوجة : هش.. ش.. ش **(القطط والجرذان تصمت)**

الزوج : لقد وصلنا.

الزوجة : لماذا لم تضعهما في حاوية القمامة؟

الزوج : كانت الحاوية ممتلئة.

الزوجة : سيفسدان التربة.

الزوج : لا.. لن تفسد، إنها ملحية.

الزوجة : **(تقترب منهمـا وتـشم)** رائحتهمـا كريهـة، سيلوثان البيئة.

الزوج : لعلها رائحة خراء القطط والجرذان يا سيدتي.

الزوجة : اخرس. هل تريد أن أرميك في الحاوية؟

الزوج : كلا .. لا أريد.

الزوجة : أما زلت تحبهما؟

الزوج : أنا أحبك أنت.

الزوجة : ليليث لا تحب أحــداً، تــرفض المــضاجعة، وبخاصة ممن له رأس كرأســك. المــضاجعة تأتي بالأطفال، وأنا أكره الأطفال، أخنقهم فـــي الليل. الزوج قيد، الأطفال قيــد، وأنــا أحــب الحرية.

الزوج : وكيف سيعمر الكــون إذا لــم تكــن هنالــك مضاجعة وأطفال؟

الزوجة : تكفيني قططي وجرذاني، اكتفاء ذاتي، أمارس المضاجعة الذاتية وألِد.. ثم ألِد.. إلى أن أمـــلأ الأرض بأجيال لا تجيد غير المواء والصأصأة والافتراس. هيا واتبعني.

الزوج : إلى أين؟

الزوجة : إلى المعبد لنحتفل بعيد ميلاد النجمة الذهبية.

(يخرجان)

المرأة : هذه الشيطانة إن استمرت في التلقــيح الــذاتي والولادة وابننا عقيم ستملأ الأرض بأجيال تثير الحروب.

الرجل : والفتن.

المرأة : والجوع.

الرجل : والفقر

المرأة : والدمار.

الرجل : والخراب.

المرأة : أجيال تأكل لحم البشر.

الرجل : وتلوك أكبادهم وقلوبهم.

المرأة : ويغوص الجنس البشري في حمأ الأرض.

الرجل : ثم يغوص.

المرأة : ويغوص..

الرجل : حتى ينصهر في مركزها الملتهب.

(صمت)

المرأة : أنا حزينة.

الرجل : وأنا حزين.

(إظلام)

* * *

(إنارة، وقد غاص الرجل والمرأة حتى صدريهما في الأرض. يدخل على عجل الناشط الحقوقي وهو يجر وراءه زحافة عليها مصنف كبير مليء بالأوراق)

الناشط : ها هي قضيتكما **(مشيراً إلى المصنف)** إنها كبيرة ومعقدة، ولكنني أعمل فيها بنشاط. نحن لا نقبل تحت سقف العدالة أن يلحق الظلم

بأحد، ولكنني بحاجة إلى صورتين عن الهوية، هل لديكما هوية شخصية؟

الرجل : لديَّ هوية، لكن صورتها امحت وزالت منها الخطوط بفعل الزمن.

المرأة : وأنا لديَّ هوية لكنها تفتت وتلاشت حين وضعتها مع الغسيل الوسخ في الغسالة.

الناشط : أصبحت القضية معقدة أكثر، ولكن لا يهم، قضيتكما هي قضية الإنسانية كلها. **(يخرج. إظلام)**

* * *

(إنارة. يدخل كهل ملتح يحمل طبقاً على رأسه فيه حلوى، يقف متحيراً)

الرجل : عمَّ تبحث؟

الكهل : كنت أبيع الحلوى في المدينة وفجأة وجدت نفسي هنا. أريد أن أعود ولا أجد سبيلاً إلى ذلك.. أنا قلق وخائف.

الرجل : ستنتظر طويلاً بلا جدوى.

الكهل : ألا تمر سيارات من هنا؟

المرأة : كلاّ.. كان القطار يمر من هنا ثم فجروه وانتزعوا السكة وباعوها كخردوات حديدية، إنها الفتنة.

الرجل : بل الثورة. زوجتي موالية تنظر بعين واحدة.

الكهل : **(يضع الطبق أمامهما ويجلس)** وأنا أبيع الحلوى للجميع. من يأكل منها يكتسب الحكمة، مولانا جلال الدين الرومي أكل الحلوى من طبقي فصار حكيماً شاعراً. ولكن اليوم لا أحد يشتري مني. هل تشتريان؟

الاثنان : كلا.

الكهل : أقدم لكما قطعتين بالمجان.

الرجل : نحن شجرتان يابستان مغروستان في الأرض لا نأكل.

المرأة : نعم، نحن شجرتان يابستان مغروستان في الأرض لا نأكل.

الكهل : لا أدري كيف يحدث معي ذلك؟ في كل مرة أجد نفسي في مكان مجهول خارج المدينة وأنا لا أستطيع العودة.

الرجل : لعلك تحلم.. هل أنت نائم؟

الكهل : كلا..جرب واقرصني.

الرجل : هذا لا يفيد. من يستطيع أن يؤكد أنه في الحلم أو في العلم؟

المرأة : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . من قال ذلك؟

الكهل : منذ أيام رأيت أن أزور والدتي، وعندما ذهبت فوجئت بأن الحي قد هُدم وأعيد بنــاؤه بنــسق جديد فلم أستطع الاهتداء إلى الدار.

المرأة : هل أمك حية أم ميتة؟

الكهل : ميتة منذ سنين. بعد ذلــك رأيــت أن أحــاول زيارتها ثانية فقالوا لي: إنها تسكن في دار في الأسواق الأثرية القديمة للمدينة.

المرأة : الأسواق أحرقت ودمرت ونهبت.

الكهل : أعرف ولكنني ذهبت إلى هناك وســألت عــن دارها، قال لي حانوتي بجوارها: هنا في بيــت تنزل إليه بدرجات تسكن امرأة فقيرة. نزلــت ووجدتها. كانت حزينة. حزينة جداً.

الرجل : **(للمرأة)** هذا الرجل ما يزال نائماً.

الكهل : كلا..أنا يقظان، وأستطيع أن أبرهن لكما ذلك.

الاثنان : وكيف؟

الكهل : عندي قدرات خصتني بها الطبيعة، أستطيع أن أطير في الهواء وأسير وأبقى فيه مــا أشــاء، ولكنني لا أرتفع كثيراً. انظرا. **(يحمــل طبــق الحلوى ويرتفع ويسير في الهواء)**

الرجل : إن كان حلماً فستكون شخصية هامة، ويكــون لك شأن.أنا أفسر الأحلام.

الكهل : كلا ليس حلماً، وأنا أرى أشياء من مكاني هــذا لا تريانها أنتما.

الرجل : حدثنا بما ترى.

الكهل : أرى القمر ينشق، والليل يختلط بالنهار.

الرجل : وماذا ترى أيضاً؟

الكهل : أرى رجالاً لهم وجوه الذئاب وخطم الخنــازير بلحى طويلة يقضون ويفتون.

المرأة : وماذا ترى أيضاً.. ألا ترى نساء؟

الكهل : أرى نساء كاسيات عاريات، مائلات ممــيلات، والناس في الشوارع يتنــاكحون ويتهــارجون تهارج الحمر.

الرجل : وماذا ترى أيضاً؟

الكهل : أرى السدود والأسوار تنهار، وقبائل يــأجوج ومأجوج تتدفق.

الرجل : وماذا ترى أيضاً؟

الكهل : أرى المسيح الدجال يفك قيوده وينطلــق مــن جزيرته ويقود أتباعه، وأرى معركــة هائلــة تدور.

الرجل : إنها معركة هرمجدون، وماذا ترى أيضاً؟

الكهل : أرى الدماء تسيل في الشوارع، ثم يعم سـلام ويطلع صباح، ثم يعود الليل فيغشى الكون.

الرجل : وماذا ترى في عتمة الليل؟

الكهل : أرى الجرذان تقرض أطراف الممالك والدول، والقطط المتوحشة تنهش الجثث وتلوك قلـوب البشر.

المرأة : ألا ترى ضوءاً ما في هذا الظلام؟

الكهل : أرى ضوءاً ينبعث من بعيد، كأن الكون مثقوب وأنا أنفذ من هذا الثقب إلى كون آخر. **(يرتفع الكهل أكثر فأكثر).**

الرجل : كفاك صعوداً، انزل إن ارتفعت أكثر ستتبخَّر.

الكهل : **(ما يزال يرتفع)** أرى أكواناً جديـدة تولـد، والنهار يعم الأرجاء. عـرس مـن الأضـواء والألوان، وأسمع أغاني عِذاباً، وأسمع همسات الغزل وأصوات القبل، وتنداح فـي الأكـوان التسابيح والتجاويق.

(يسمع من بعيـد موسـيقى وصـوت غنـاء أوبرالي)

(إظلام قصير وإنارة ويكون الكهل قد اختفى)

المرأة : أين ذهب بائع الحلوى؟

الرجل : تبخَّر، كنت أعلم أنه سيتبخَّر.

المرأة : كان حلماً.

الرجل : كان حقيقة.

المرأة : ونحن؟ من نحن؟

الرجل : نحن الحلم وهو الحقيقة.

المرأة : الأمور مختلطة.. مختلطة جداَ.

(إظلام)

* * *

(الرجل والمرأة وقد غاصا كثر في الأرض حتى أسفل كتفيهما. يدخل الناشط الحقوقي وهو يجر وراءه زحافتين عليهما أوراق القضية).

الناشط : **(يشير إلى الزحافتين)** انظرا، قضيتكما تكبر ولكنها تحرز تقدماً ملحوظاً. سيجتمع مجلس الأمن لإدراج القضية تحت البند السابع (**الرجل والمرأة ينظران إليه ببرود وبلاهة ويتابعان اللعب بالشطرنج ورفو الجوارب)** لماذا تنظران إلي هكذا، أنتما لا تصدقان، يجب

ألاّ تيأسا، رسائل كثيرة تصلني على الفيسبوك وتبارك جهودي وأنتما تنظران إلي ببلادة وبلاهة. لقد شُكلت لجنة لتقصي الحقائق، وأخرى للتحقيق، وثالثة للفرز، ورابعة للدراسة، وخامسة لإعداد البيانات. وهناك مكتب صحفي ملحق بالقضية، ومبعوث أممي سيزوركما. القضية معقدة كما تعلمان فالعالم كله كان يحكمه قطب واحد والآن بدأ يظهر قطب ثان، ولكل منهما شروطه ومصالحه وهكذا تتعقد الأمور وأنا عليَّ المتابعة والاتصال والتنسيق، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه وستصلان إلى حقكما بالتأكيد، وكل ما أريده منكما أن تضعا بصمتي إبهامكما على هذه الوكالة ليكون عملي قانونياً فمرافعتي عنكما أصبحت قريبة **(يتناول من المحفظة ورقة الوكالة وعلبة حبر التوقيع ويقدمهما لهما)**

الرجل : **(يتابع اللعب)** آسف، لقد انمحت الأثلام تماماً من بصمة إبهامي، إنها ملساء مسطحة.

المرأة : **(تتابع رفو الجوارب)** وأنا أيضاً آسفة لقد

انمحت الأثلام تماماً من بصمة إبهامي، إنها ملساء مسطحة.

الناشط : هذه مشكلة أخرى، ولكن لا بأس، سأرى ما يجب عليَّ فعله. اطمئنا أنا مهتم جداً لأننا إذا لم نربح الدعوى فإن العالم كله سيغوص في العدم. **(يخرج)**

الرجل : **(يقوم بنقلة في الشطرنج)** الملك لا يموت، يموت الجنود ولكن الملك لا يموت.

المرأة : **(وهي ترفو الجورب)** جواربه كلها مثقوبة، هل يقرضها بأسنانه**!؟**

الرجل : **(نقلة أخرى)** ليعيش الملك لا بد من التضحية بالوزير والحصان والفيل. كان الهنود يستخدمون الفيلة في الحروب كمدرعات.

المرأة : جواربه كلها نتنة، زوجته لا تغسل له جواربه.

الرجل : **(نقلة أخرى)** سقطت القلعة، فلتسقط كل قلاع الوطن ويحيا الملك.

المرأة : جواربه أصبحت مهترئة، نسيجها يسقط من تلقاء نفسه حين أخيطها.

الرجل : في الشطرنج الجنود يموتون في صمت ويبقى الملك **(يجمع رقعة الشطرنج وأحجاره ويضعها جانباً في الكيس)**

المرأة : ماذا سيفعل المحامي بكل هذه الأوراق؟

الرجل : لا شيء، ستأكلها الجرذان.

(إظلام)

* * *

(الرجل والمرأة وقد غاصا في الأرض حتى عنقيهما. تدخل فتاة يتبعها طفل صغير هي أمه. حول عنق الفتاة سلسلة في وسطها علبة صغيرة كتميمة على شكل قلب)

الفتاة : هل أنتما هنا منذ زمن طويل؟

الرجل : كيف لنا أن نعرف؟ لا الشمس تطلع ولا ساعة أو روزنامة لدينا.

المرأة : **(للرجل)** من تكون هذه الفتاة؟ أحس بنبض ضعيف غريب في قلبي المتيبس.

الرجل : لا أعرف، العابرون كثر في هذه الناحية وكلهم يرحل ولا يعود سوى ذلك المحامي الأبله.

المرأة : **(للفتاة)** أهذا ابنك؟

الفتاة : أجل، هذا ولدي آخذه معي أينما ذهبت. إنهم يخطفون الأولاد ويطالبون بالفدية، أو يغتصبونهم ويقتلونهم.

المرأة : ولماذا يفعلون ذلك؟

الفتاة : لا أدري.. إنها الفوضى والفتنة.

المرأة : وأنتم ماذا تفعلون حين يحدث ذلك؟

الفتاة : لا شيء، يمر بنا بين الحين والآخر محام يقول إنه ناشط في مجال حقوق الإنسان، يحمل أوراقاً ويقول إنه يدرس القضية وسيرفعها إلى الجهات المختصة، وكلما عاد يكن ولد آخر قد اختفى.. هل لديكما ماء؟ ابني عطشان.

الرجل : آسف.. نحن شجرتان يابستان غائصتان في الأرض لا نأكل ولا نشرب.

المرأة : نعم.. نحن شجرتان يابستان غائصتان في الأرض لا نأكل ولا نشرب.

الفتاة : مسكين هذا الولد، عليَّ أن أقرأ حاجته في عينيه فهو أصم وأخرس.

المرأة : منذ الولادة؟ أم كيف حدث ذلك؟

الفتاة : سقطت قذيفة بجانبه فأصيب. يقولون قد يعود إليه السمع والنطق.

(الفتاة تتجول في المكان وتنظر هنا وهناك إلى البعيد)

المرأة : عمَّ تبحثين؟

الفتاة : هل مرَّ بائع حلوى من هنا؟

الرجل : نعم، مر من هنا.

الفتاة : وأين هو الآن؟

الرجل : لقد تبخر.. طار وارتفع ثم تبخر.

الفتاة : دائماً يفعل ذلك وعليَّ أن أبحث عنه من جديد.

المرأة : وما علاقتك بهذا الرجل؟

الفتاة : إنه زوجي ووالد طفلي.

المرأة : ولماذا يفعل ذلك؟

الفتاة : هذه هوايته، صاحب البراهمة والفقراء الهنود وتعلَّم منهم.

المرأة : وما الذي كان يفعله في الهند؟

الفتاة : يبيع الحلوى، يتنقل بين الشام وفارس والهند ويبيع الحلوى. **(تخرج مطرة ماء)** يجب أن اسقي الطفل **(تسقي الطفل)** يجب أن أملأها من جديد.

المرأة : **(للرجل)** هذا الطفل يذكِّرني بابنتي التي فقدتها وكانت في عمره.

الرجل : وأنا أيضاً هذا الطفل يذكِّرني بابنتي التي فقدتها وكانت في عمره.

المرأة : قال لي من شهد الحادثة إن امرأة خطافة خطفتها وهربت.

الرجل : عندما أبلغت الشرطة بالحادثة قالوا: إنهم يبحثون عن امرأة بثلاثة أنوف وعين واحدة تخطف الأطفال.

المرأة : ليليث زوجة ولدنا بثلاثة أنوف وعين واحدة، هل يمكن أن تكون هي؟

الرجل : لا أدري ربما تكون هي.

المرأة : ربما.. ولكني لست متأكدة.

الرجل : هل تذكرين علامة مميزة فيها؟

المرأة : كانت تضع في عنقها سلسلة تتدلى منها تميمة.

الرجل : وهذه الفتاة تضع في عنقها سلسلة تتدلى منها تميمة.

المرأة : **(للفتاة)** من أين لك هذه السلسلة والتميمة يا ابنتي؟

الفتاة : لا أدري، إنها في عنقي منذ كنت طفلة.

المرأة : افتحيها وأريني إياها.

الفتاة : **(تفتح التميمة وتقربها من عيني المرأة)** أنا لم أفتحها من قبل.

المرأة : **(بدون عاطفة)** أوه .. هذه هي العلامة.. وأنت ابنتي.

الرجل : **(بدون عاطفة)** أ حقاً هي ابنتنا؟ وهذا حفيدنا.

المرأة : نعم. أره التميمة يا ابنتي. **(تقرب التميمة من وجه الرجل)**

الرجل : لا بأس. هذا جميل.

الفتاة : **(بدون عاطفة)** إذن، أنتما أبواي الحقيقيان؟

الرجل : أجل، أنا أبوك وهذه أمك.

الفتاة : **(بدون عاطفة)** لا بأس في ذلك، تشرفت بمعرفتكما.

(تسير خارجة وهي تمسك بيد ابنها)

المرأة : إلى أين؟

الفتاة : سأبحث عن زوجي وعن ماءٍ لولدي.

المرأة : رافقتك السلامة يا ابنتي.

الرجل : رافقتك السلامة يا ابنتي.

(الفتاة وابنها يخرجان)

(إظلام)

* * *

(الرجل والمرأة وقد غاصا تماماً في الأرض ولا يظهر منهما إلا أكفهما المرفوعة إلى الأعلى. يدخل الناشط وهو يجر بصعوبة ثلاث زحافات مربوطة ببعضها بعضاً وعليها مصنفات وأوراق القضية ومنها تخرج رؤوس

جرذان عششت فيها تقرض الأوراق. الناشط يتحدث وظهره إلى الرجل والمرأة الغائصين في الأرض).

الناشط : قضيتكما كبيرة ومعقدة، ولكنها تتقدم، انظرا لقد أصبحت القضية ثقيلة..ثقيلة جداً. ما يهمنا هو أن ينتهي الظلم في العالم ويعود الأمن والاستقرار والسلام، ويعيش الناس حياة هانئة سعيدة. نحن الناشطين في الدفاع عن حقوق الإنسان نقوم بواجبنا، وسنظل نحتج ونطالب ونعمل ونرافع إلى أن يعود الفردوس المفقود إلى الأرض وإلا فإن البشرية كلها ستغوص في النار والطين.

(يلتفت تجاههما ويتابع الجر، يفاجأ بأكفهما المرفوعة وجسديهما اللذين ابتلعتهما الأرض)

اللعنة.. تأخرت قليلاً ولم ينتظرا حتى أنهي هذه القضية **(صمت. ينظر إلى ملفات القضية على الزحافات)** لا بأس، عليَّ أن أرمي هذه الأوراق في الحاوية وأبدأ قضية أخرى.

(يجر العربة ويخرج)

(إظلام)

* * *

(في الظلام أصوات عاصفة رعدية والتماعات البرق مختلطة بأصوات قـذائف ورصـاص.
تهطل أمطار غزيرة.
يرتفع النور قليلا لنرى الأشياء كظلال. الأكف المرفوعة تكون قد غاصت تماماً فـي الأرض وفي مكانيهما غرست الوردتان.
على المسرح رجال ونساء وأطفال بوجـوه وألوان مختلفة، يتوزعون في أوضاع متعددة وفي وضعية التثبيت وأعيـنهم تتطلـع نحـو السماء، وجنـازة وهميـة مرفوعـة علـى الأكتاف. إنهم يمثلون البشرية جمعاء.
تخبو أنوار المسرح أكثر فأكثر ويدوي صوت انفجار كوني هائـل وتـشق الفـضاء كـرة متوهجة من النار).

- النهاية -

حلب ٢٠١٣/٦/١٠